فنون معاصرة

«هنا وربما هناك» مشروع متعدد الوسائط

منذ سنوات وهي تعيش مع بطلها وحيد صالح الذي فقد أواخر صيف 86 عند خطوط التماس. صوّرت فيلماً، ونشرت نصّاً، وها هي تخصّص موقعاً تفاعليّاً لإشراكنا في تقصّي روايات اختفائه حسب الشهود. نحن في منطقة ملتبسة بين الحقيقي والمتخيّل، بين السرد والمادة البصريّة... الحفريات مستمرّة في ذاكرة الحرب

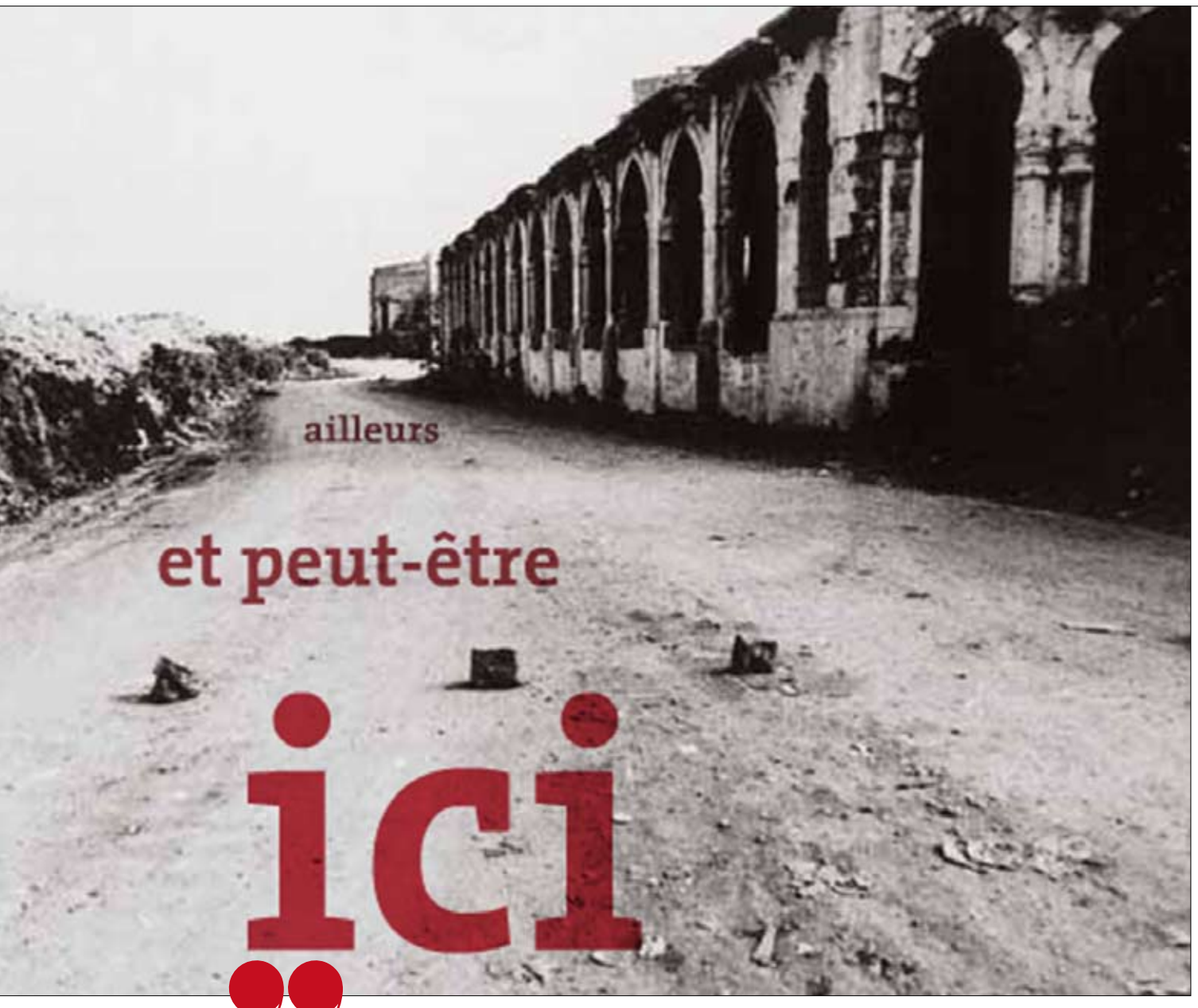

عمل للفنان ستيف سابيلا يُظهر لميا جريج على طابع بريد فلسطيني

لميا جريج تعود إلى مسرح الجريمة

النص والصورة عنصران أساسيان في القصة، والخلفية الموسيقية تقبض على الأنفاس

نوال العلي

فُقد وحيد صالح «هنا وربّما هناك». لا أحد يعلم إلى أي ميليشيا ينتمي القنّاص أو العابر أو القاتل. هو شاب ثلاثيني أسمر له لحية عبَرَ خط التماس بسيارة «فيات» كحلية في حزيران (يونيو) 1986، وفُقد منذ ذلك اليوم.

تتساءل في البداية ما المغزى من تكرار فكرة واحدة بأكثر من وسيلة؟ لكن مشاهدة وتصفّح موقع «هنا وربما هناك» للتشكيلية لميا جريج يكشفان عن جماليته وأهميته شيئاً فشيئاً. نقول مشاهدة وتصفّح، لأنّ النص والصورة عنصران أساسيان في حياة هذه القصة التي تحاك على صفحات متتالية، في موقع أطلقته جريج حديثاً. وكانت الفنانة قد أخرجت فيلماً حمل الاسم عينه، والقصة نفسها تقريباً في 2003. وفي الفيلم، تظهر بعض الصور الفوتوغرافية ـ متوافرة على الموقع ـ يقلّبها أحدهم وهو يحكي عن «السبت الأسود».

تستلهم جريج (1972) قصتها القصيرة التي كتبتها بالفرنسية في عام 1996، من فيلم «راشومون» لليابابني أكيرا كوروساوا. هكذا، تستعير منه حبكته القائمة على شهادات متناقضة لأربعة أشخاص عن مقتل أحدهم. وتضع مخرجة «ليال ونهارات» لقصتها كل مفرداتها الكلاسيكية فتحدّد الزمان بأيلول (سبتمبر) 1987، والمكان خط التماس أو بيت أحدهم. وتسمّي الشخصيات بأسمائها: أمنة عجوز فقدت ابنها في الحرب، زياد القنّاص، نبيل ك. رجل من الميليشيا، زاهي صديق أمنة، وهناك امرأة مجهولة. إضافة إلى رجل يتحرى عن اختفاء شخص اسمه وحيد صالح (اسم مبهم وضعيف لا يشير إلى أصل أو فصل).

لا تبدو الصفحة الأولى من الموقع جذابة فنياً. على العكس، إنها غير مشجعة أبداً. لكن جريج تضرب بالاعتبارات الخارجيّة عرض الحائط: فهي تقترب من مكان وزمان غير مشجعين أبداً، وتستعمل ألوان تلك الفترة ولغتها وجمودها كي تشبه الحكاية. فيظهر على بوابة الموقع الإسفلت وفتحة الصرف الصحي، حيث يُحَدّد موقع كل شخص بالنسبة إلى مكان الجريمة. وهنا يغيب اسم وحيد المفقود ليحلّ محله تعبير آخر هو «مكان الجريمة»، فتترك جريج الفرصة لكل شخصية كي تقول جانبها من الرواية، وتعدد في استخدام أساليب الخطاب، لتضفي أجواءً غامضة تناسب روح القصة. وتتنقل بين دورها راوية للأحداث وشاهدةً من بعيد عليها، ثم تتحدث باسم المتكلم، لتعود وترتد إلى الحديث بصيغة الغائب.

في الواقع، إن تنوع تجربة جريج الفنية من فيديو وتجهيز وكتابة ولوحة تقليدية، هي التي درست السينما والرسم في نيويورك، لا يظهر في هذا الموقع المتقشف جداً الذي يعرض بتجرّد وبساطة للقصة المطلوب التواصل معها بطريقة تفاعليّة. البنية الفنية قائمة على الصور (بالأبيض والأسود) والنص. أحياناً يظهر الاثنان معاً، وغالباً ما يكون ظهورهما منفصلاً. وفي الحقيقة، إنّ الصورة تؤدي دوراً جمالياً تفتقر إليه اللغة المباشرة والحادّة. وهي كذلك لغة أشخاص يروون لمحقّق ما حدث وما رأوا وتنضوي عباراتهم على تبريرات كثيرة. فيما توفر الصورة جانباً جمالياً فنياً غائباً للغة. كأنّ جريج قسمت المعادلة الفنية بالنصف، تركت للغة شقّاً جافاً مهمته الإخبار والكشف وأعطت الصورة دوراً مختلفاً. إنّنا نجد صوراً لأشخاص يتعلقون بالشخصيّات الرئيسية، لكنّنا لن نتمكن من رؤية أي منهم أبداً. نحن نتعرف إلى حبيبة زاهي، أو ابن أمنة، أو جدة المرأة، أو شقيقة نبيل ك، حتى ليُخيّل إلينا أنّ الشخصيات كلها مفقودة.

نقد

زياد عنتر ورشا سلطي: «بيروت الثكلى»

هياكل فارغة تختزن النسيان والموت والغياب

بيار أبي صعب

«بيروت الثكلى» مشروع لافت عرضه «بينالي الشارقة» في الربيع الماضي، تتجاور فيه الأعمال الفوتوغرافيّة التي أنجزها زياد عنتر، مع نصّ كتبته رشا سلطي بالانكليزيّة، وعرّبه محمد طلعت خضر. وقد صدرت التجربة في كتاب فنّي يوقّعه مؤلّفاه مساء غد الخميس في بيروت.

زياد عنتر صاحب تجربة خاصة بين فنّاني الجيل الجديد في لبنان... اشتغل مليّاً على الصورة، ومنها انتقل إلى الفيديو. لفت الأنظار في تمّوز (يوليو) 2006، حين التقط سلسلة من البورتريهات، المحايدة ظاهراً، لأطفال المهجّرين، ثم للمهجّرين أنفسهم، في المدارس التي لجأوا إليها. جاءت النتيجة يومذاك مفاجئة، ومدهشة: غاليري موجعة من الوجوه التي تقول الجانب المنسيّ، الصامت، من المأساة. وعندما عاد لاحقاً ليصوّر تلك الهياكل المقلقة التي لم نعد نراها، فهمنا أنّه يواصل الرحلة نفسها، مقتفياً أثر الشهود الصامتين، راصداً كل ما لا تتسع له الصورة المكرّسة، والنظرة النمطيّة إلى مدينة على حافة الفجيعة الدائمة: بيروت عاصمة الأوهام الضائعة.

في المشروع الذي نحن بصدده، يصوّر زياد العمارات العارية في بيروت وخارجها. مهجورة، غير منجزة غالباً، تحمل أحياناً ندوب المعارك. كأنّها منسيّة هنا منذ دهر... مجازاً لمدينة خسرت نفسها ولم تربح المستقبل. «بناءات مجفوّة، وجغرافيا الاهتراء» يقول العنوان الفرعي للمعرض/ الكتاب الذي يستند إلى كتابة تجمع بين السرد والنقد، مفعمة بالشحنات الذاتيّة والتداعيات والتساؤلات. نصّ رشا سلطي يكمّل المادة البصريّة بطريقة دينامية. فالكاتبة والناشطة الثقافيّة القريبة من الفنون البديلة والمعاصرة، تقدّم، بنبرة لا تخلو من السخرية والمرارة، شهادة جيل لم يتجاوز «هذا المفترق بين الحرب واللاحرب». إنّها «أركيولوجيا الحرب» الذي تتجلّى في معرضي أكرم زعتري («الأخبار»، 5 أغسطس 09) وفي مشروع لميا جريج «هنا وربما هناك» (راجع المقالة أعلاه).

نقرأ عن السلم القسري، وخدعة الإعمار، والوصاية السوريّة... خلال سنوات الأوهام الحريريّة التي أقصت الناس عن المدينة، وأسبغت شرعيّة على أمراء الحرب، وأثرت طبقة جديدة، وموّهت الذاكرة. كل ذلك تعبّر عنه سلطي بضمير المتكلّم، في توليفة تتقاطع عندها التجارب والمراحل والمكابدات الحميمة. هكذا تلتقي مع زياد عنتر في رحلة البحث عن الفراغ، في التعبير عن الغياب والنسيان ومعنى الموت، عن الحياة المعلّقة، عن المدينة المؤجلة، الضائعة بين مرحلتين وزمنين وحروب كثيرة.

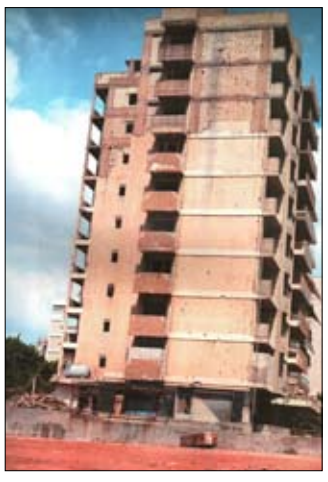

زياد عنتر: «بناية في الجناح شيّدت عام 1970»

غداً الخميس من 6 حتى 8 مساءً ـ «بيروت الثكلى» (الشارقة 9)، توقيع بحضور المؤلفين في «فيرجين ميغاستور» (وسط بيروت) ـ للاستعلام: 01/999666